روزاليوسف

٩ سبتمبر ١٩٧٤ ـ ٢٢ شعبان سنة ١٣٩٤

العدد ٢٤١٣ ـ السنة ٥٠ الثمن ٦٠ مليما

مصر الأخرى

حزبان.. أم أكثر

يوسف السباعى يرد على كل الاتهامات

صدق أو لا تصدق:

هذه صورة الشاعر

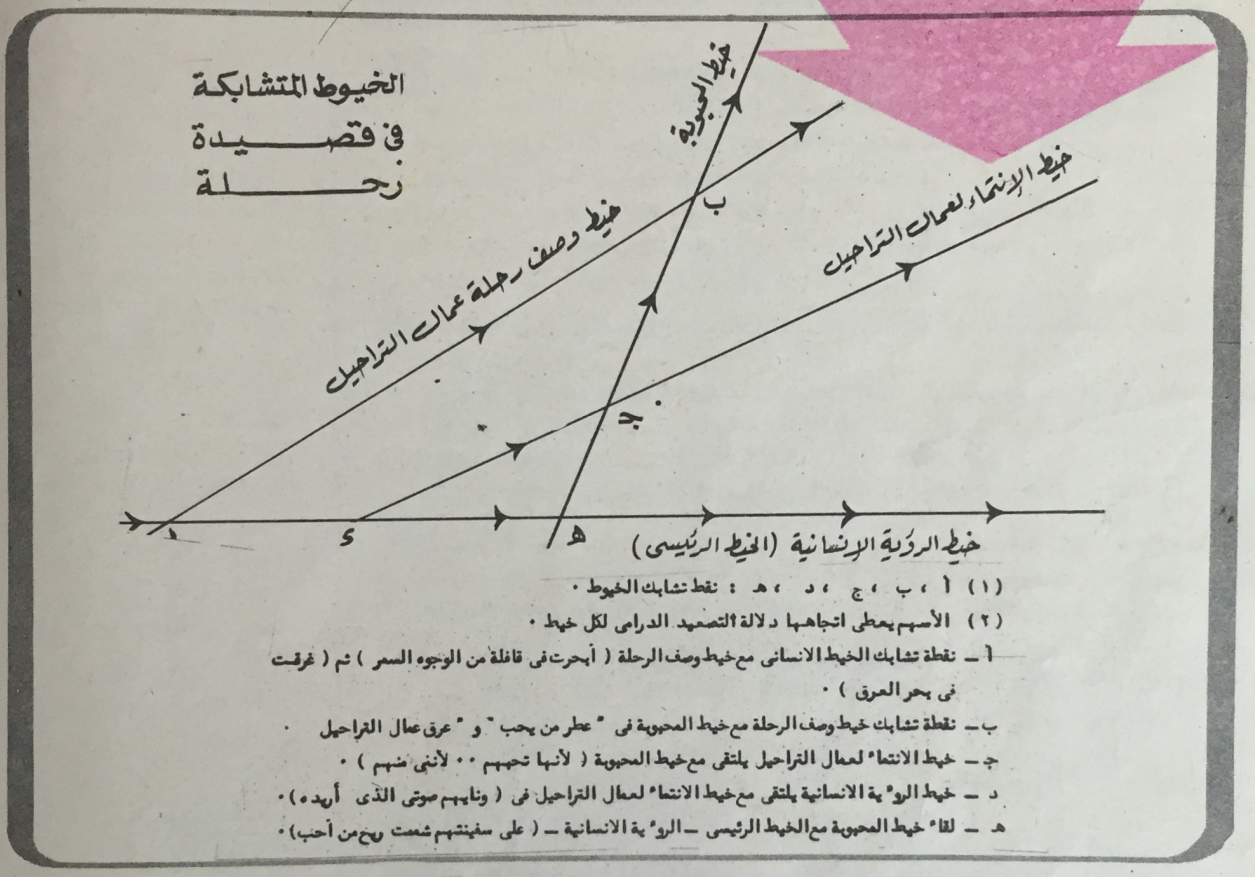

ليست هذه نكتة .

انها على العكس محاولة جادة ، قام بها كاتب جاد ، لنقد أحد الشعراء المعروفين !

الشاعر هو حسن فتح الباب صاحب «فارس الامل» و «مدينة الدخان والدمى» و«عيون منار» ومعزوفات على الجرح القديم» .

أما الناقد فهو خريج كلية العلوم الشاب ايهاب أحمد. ان أى نقد فى الدنيا لا مفر من أن يخضع لذوق الناقد الخاص . ولايمكن أن يتخلص من العنصر الشخصى ، مهما حاول الناقد نفسه أن يكون موضوعيا ومنصفا ، الا فى حالة واحدة .. هى أن يلتزم مقاييس رياضية مطلقة ، فهل هذا ممكن؟

يقول الناقد الشاب : نعم .

ولكى يدلل على رأيه قام بهذه المحاولة المثيرة ، ومن الممتع حقا أن نستعرض هنا خلاصة بحثه .

● الخطوط المتوازية :

استطاع الشاعر حسن فتح الباب اثبات ان الشعر الحديث قادر على استيعاب كل المعانى والافكار الانسانية العميقة التى لم تالفها قبل ذلك لغة الشعر ولم يسبق ان صبت فى قوالبه .

وقد بدأت تجاربه فى هذا المجال تتضح عندما برزت فى شعره فكرة الخطوط المتوازية ، فاصبحت قصيدته تحمل اكثر من ومضة فكرية متوهجة ، على حين ان قصيدة الشعر الحديث كما نعرفها وفقا لتكنيك التصعيد الدرامى يدور محورها حول فكرة أساسية واحدة تتشعب الى افكار فرعية .

وكانت البداية عندما وضع اللمسة الاولى لهذا التطوير فى قصيدة (عندما يغرب القمر) ، التى يتميز فيها الخطان المتوازيان .

الخط الاول خط الحب العذب الرقيق ، والخط الثانى عشق الوطن أو الارض وعذاب الشاعر من أجله .

منذ اللحظة الاولى يتفجر الخط الاول :

التقينا بعض شهر
وافترقنا سنتين .
وتشاكينا عذابات السهر .
قمر يغرب من بعد قمر .
ثم ضعنا سنوات .
انكرتنا .. سئمتنا الكلمات .

وتستمر القصيدة حتى تصل الى

حسن فتح الباب !

المقطع الاخير ، حين يلقى الشاعر بمفاجأته ليغير من المفهوم العام لدى القارىء • فاذا بالنظرة الرومانسية للشاعر تتحول الى عذابه الحقيقى :

عندما يغرب فى عينى القمر •
يحلم القلب بميلاد السنابل والجداول •
وتدق الباب آلاف الايادى •
تمسح الدمعة عن وجه حبيبى وبلادى ••

ويبرز الخط الجديد فى القصيدة•• عشقا عنيفا للوطن • وآذا بنا نعود تلقائيا من جديد الى قراءة القصيدة لنتلمس هذا الخيط من بدايتها •• فنجده يناجى وطنه وشعبه الجريح •

وفى هذه المقطوعة الثانية من القصيدة ـ التى قسمها الشاعر أربعة مقاطع ـ يقدم الشاعر محبوبته الثانية مصر حين يصفها وقد مشى الحزن فيها على وجه الجداول ، وتعلمت من حضارتها الصمت انتظارا لفجر جديد •

وفى المقطع الثالث يعود لنغم المقطع الاول حيث يقترب الخطان معا ويصبحان فى نفس المستوى •

لانك ودعتنى فى اخضرار الضحى وأودعتنى الأمل المستحيل •
سألقاك عند انحدار المسا •
وصمتك أحزان صيف طويل •

وفى هذا المقطع يعود لوصف الوطن الصامت من ثقل أحزان الصيف الطويل يقول :

••• يطرق خطوى القمر
وتخضر سيناء •••
•• يغزو الرمال الشجر •
وتسقط اجنحة الزوبعة •

● الخطوط المتشابكة :

ومن الملامح الهامة التى ادخلها الشاعر حسن فتح الباب على القصيدة الحديثة الخطوط المتشابكة او بلغة السينما : المزج •

استخدم الشاعر هذا التطوير فى الوان من الشعر تعودنا أن نسمعها بألفاظ خاصة وآكليشيهات محفوظة• هذا اللون هو ما كان يطلق عليه اللون الحماسى ، واصبحنا نطلق عليه فى عصرنا الشعر الوطنى أو الشعر السياسى •

فى قصيدة (رحلة) التى كتبها الشاعر متأثرا بما يلاقيه عمال التراحيل » يبدأ قائلا :

ابحرت فى قافلة •
من الوجوه السمر والغمائم البيضاء •
والآنية الفخار •

ملقيا بخيط واضح يصف فيه عمال التراحيل مبتدئا رحلة معهم من المنبع ، من اقاصى الصعيد • ثم يترك هذا الخيط يغزل نفسه بنفسه من خلال خيط جديد ألقاه غازلا اياه من عطر محبوبته فيقول :

غرقت فى بحر العرق •
انقذنى موال •
شممت عطر من احب •
فى عبيق النهر والمساء والكافور•

فى هذه الابيات يبدو التقاء الخيطين معا فى عطر من يحبها الشاعر ، ذلك العطر الذى فجره بحر العرق الذى يفوح من عمال الترحيل • ثم يلقى الشاعر بخيط جديد ليجسد لنا محبوبته فيقول :

حبيبتى تحلم يوما انها
تختال تحت ضوء الحب والنخيل والقمر •
بين الوجوه السمر والحمائم البيضاء •
وهمس عاشق على وتر •
وتاكل القديد •
لانها تحبهم •
لاننى منهم •

وهنا تتشابك خيوط كثيرة فى نفس المقطع ، فالحبيبة تحلم بالسير ولكن بين الوجوه السمر من عمال التراحيل•• ويتشابك نسيج الاحساس والفكر والايقاع الموسيقى، مع خيط جديد يفجره الشاعر حين يعترف انه واحد من عمال التراحيل ولذلك تعشقهم محبوبته •

فى هذه القصيدة نجد ان الفكرة التى تناولها الشاعر رغم جفافها وخشونتها تحولت الى حلم شاعرى رقيق ، وفى نفس الوقت لم تفقد النغم الاصلى الذى اراده الشاعر •

وهكذا يخرج الشاعر حسن فتح الباب بنسيج جديد من خيوط متشابكة زاخرة بالمعانى متدفقة بالافكار متألقة بوهيج الحضارة والحب ، دون ان يتردى فى احضان الرمزية او الغيبية •

ان هذا التطوير الذى ادخله الشاعر حسن فتح الباب على الشعر الحديث يعطينا دليلا على ان هناك فى قصائده الجديدة ـ التى ستكتب ـ نوعا آخر من التطوير • واعتقد ان طريقه الجديد سيكون ابراز ثلاثة خطوط متوازية واربعة خطوط فى نفس المستوى وبنفس التصعيد الدرامى الذى برع فى استخدامه مع الخطين المتوازيين ومن المعتقد أيضا أنه سيستفيد أكثر من الاحساس النفسى الذى له وقع قوى فى نفس القارىء وذلك عن طريق الخيوط المتشابكة مع تطويرها الى خيوط ليست فى اتجاه مستقيم • بل زاخرة بالقمم والقيعان نفسيا وفكريا وتصويريا • فترتفع مع خيط منها فى نفس الوقت الذى تنخفض فيه مع خيط آخر لتصل الى لحظة من القصيدة لها قمة وقاع ، ليعودوا مرة اخرى فى لقاء صارخ ••• وان كانت هذه الخيوط هى مشكلة هذه التجربة التى نرجو ان يجد الشاعر لها حلا فى أعماله القادمة •

أيهاب أحمد

هكذا جاء فى بحث الناقد الشاب •

ولكن .. هل لهذا الطراز من النقد مستقبل ؟ لانظن !

ان محاولة اخضاع الفن للتحليل الرياضى ليست جديدة . سبق اليها الاغريق منذ آلاف السنين .. متأثرين بفراهم التقليدى بالرياضيات •

وفى اواخر القرن الماضى عادت الى الظهور فى اوروبا ، وانمرت نظريات تلخص الجمال الفنى فى وجود نسب رياضية ثابتة بين الظل والنور فى اللوحات ، وبين السكون والحركة فى الرقص ، وبين الصمت والكلام فى المسرحيات .. الخ •

وقد فشلت هذه النظريات فى البقاء لسبب بسيط : هو ان الرياضة فن آخر غير الشعر والموسيقى والمسرح والقصة واذا كان جمال مقاييس الرياضة ، كامنا فى احكامها ، فان جمال الفنون الاخرى كامن فى تلقائيتها ، وانسانيتها ، وتمردها على الاحكام !

ان العمل الفنى ذاتى واجتماعى فى خلقه ، وذاتى واجتماعى فى استقباله .

وقد تنجح اغنية رديئة لان فى مطلعها كلمة تلمس القلب .وقد تخلد مسرحية غير متوازنة البنيان لانها تقول ما يضحك فى ضمائر الناس . ونصف جمال الفن فى مدى صدقه الاجتماعى ، ونصف حاجة الناس اليه فى هذا الصدق بالذات . وقد تكون المقاييس الجمالية المطلقة وسيلة من وسائل الفن .. ولكنها بالتأكيد ليست الفن •

من اجل هذا فشلت الاساليب الرياضية فى النقد الفنى ، بالرغم من انها اكثر المقاييس دقة وموضوعية . فهى تستطيع ان ترسم صورة بالغة الصدق للعمل الذى تتعرض له ، ولكنها مثل صور الاشعة .. تلغى اكثر مما تسجل ، وتخلو من اللحم والدم والنبض والحياة .

هل يامل الناقد الشاب أيهاب أحمد ان ينجح فى ما فشل فيه الذين سبقوه الى نفس المحاولة ؟

انها على اية حال محاولة ممتعة ، بدليل اننا نشرناها .

أما الاجابة على السؤال فمتروكة له !

●